بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله القائل في محكم كتابه المُبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 174]، والصلاة والسلام على مَن أُنزِلَ على قلبه القرآن، فوعاه وحفظه، وأدّاه وبلّغه، وعمل بأحكامه، ودعا الناس إليه، وعلى آله وأصحابه الغُرّ الميامين، الذين أنزل عليهم القرآن وفيهم، فوعوه، وحفظوه، وجمعوه، وعملوا بأحكامه، وبلّغوه لمن وراءهم بكل أمانة، فوصفهم الله لذلك بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] وبعد:

فإنَّ فضل القرآن الكريم عظيم؛ لأنه كتاب الله، وما لقي كتاب في الأرض ما لقي هذا الكتابُ من العناية والدراسة، فمِنْ حافظ له عن ظهر قلب، ومِنْ قارىء، ومُجوِّد، وما من فقيه، وعالِم، وقانوني، ودستوري، ونحوي وبليغ، وعالم اجتماع، ونفس، وثقافة وفكر إلا ويجد فيه بُلْغَتَه، وطلْبَتَه، وكيف لا وهو هداية الله العظمى، وفيه كلامه وشرعه ودينه الذي ارتضاه لعباده.

فمن ابتغى الهداية في غيره ضلّ، ومَن استمسك به نجا، فهو حبل الله المتين ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: 103] وفيه النظام الإلٰهي لبني الإنسان، الذي يكفل سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وهو المصدر الأول للمسلمين الذي يستمدون منه علومهم ومعارفهم، قال رسول الله ﷺ: **«تركتُ فيكم ما إن تَمَسَّكْتم به لَنْ تَضِلُّوا بعدي أبداً: كتابَ الله، وسُنّتي»**.

لذلك فقد كثرت الدراسات حوله كثرة بالغة لا تحصى، وفاضت القرائح بالمؤلّفات التي لا تُسْتَقْصَى، فالفقيه يستنبط منه الأحكام، والأصولي يستمد منه قواعد

الاستنباط، والنحوي قواعد اللغة، والبليغ أساليب القول وأفنانه، والمؤرّخ قصصه وأخباره...

وقد وضع العلماء كتباً، منذ بداية عهد التدوين عند المسلمين مع نهاية القرن الأول الهجري، تتناول مواضيع قرآنية متفرّقة، فهذا يبيّن أسباب النزول، وآخر الناسخ والمنسوخ، وآخر المكي والمدني، والمحكم والمتشابه... ونشأت علوم كثيرة للقرآن، أحصاها السيوطي (ت 911 هـ) في «**التحبير**» فبلغت مائة علم.

لكن هذه العلوم كانت أول عهدها متناثرة متخصّصة، فكلّ علم يظهر فيه المُؤلَّف والاثنان، وقد يُكتب فيه أكثر من مائة مؤلَّف، وهكذا في كل علم على حِدَة، فكانت هذه العلوم كحبّات اللؤلؤ المنثورة، بحاجة إلى سِلْك ينتظمها، وعِقْد يجمعها، وظهرت فكرة جمع علوم القرآن في مؤلف واحد بعد القرن الخامس الهجري، وأوّل مَن نعلم أنه جمعها في تأليف واحد هو ابن الجوزي(ت 597 هـ) في «**فنون الأفنان**» وتلاه أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت 665 هـ) في كتابه «**المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز**» ثم توالى التصنيف فيه بعد ذلك إلى أيامنا هذه.

وهذه العلوم لا غنى عنها لقارىء القرآن كي يفهم معانيه، لذلك وجب الاهتمام ببيانها، وتعريف الناس بها، وقد استخرتُ الله تعالى في وضع كتاب يُبيّن أهم علوم القرآن التي لا غنى للدارس عنها، ممّا اضطرني للرجوع لكتب الأقدمين والمعاصرين، في تعريف كل علم وبيان مسائله.

وقد وُضِعت في هذا الفن كتب كثيرة عبر العصور، لكنّ كلّ كتاب منها كان يُلائم عصره وأهل زمانه، يُظهر اهتماماتهم ويقدّم ما يفيدهم، ونحن اليوم بحاجة إلى عرض مسائل هذا العلم بلغة العصر المليء بالتحديات، التي تحافظ على مسائل العلوم ولا تُخِلّ بها، ولكن تعرضها عرضاً مناسباً.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 4].

ولنأخذ موضوع (**إعجاز القرآن**) مثلاً، فقد كان الاهتمام في كتابات السابقين مُنْصَباً على أسلوب القرآن وبيانه وفصاحته وبلاغته، لكنه اليوم يهتم بإبراز الإعجاز العلمي، ولم يعد للغة ذلك الاهتمام الأولى كما كان عند العرب أثناء نزول القرآن،

والعالم بأسره اليوم بعد القرن الخامس عشر الميلادي مال نحو العلوم الطبيعية الكونية، بَعْد القطيعة مع الدين التي حصلت بين الناس والكنيسة في أوروبا، وإعراض الناس عن الدين إلى العلم، ونشوء العَلْمانية، والفكر العَلماني والإلحادي.

وقد سَرَت عَدْوَى هذه العقلية من الغرب إلى الشرق الإسلامي منذ قرنين، ونشأت فيه أجيال (علمانية) متغرّبة بأفكارها، وطريقة تفكيرها، متأثرة بالثقافة الغربية إلى حدّ كبير، مع الإعجاب والانبهار والتقليد. حتى أصبح المثقّفون في البلاد الإسلامية غريبين عن دينهم وثقافتهم وحضارتهم، يبتعدون عنها كل يوم شيئاً فشيئاً، ولم يبق فيهم من الإسلام إلا اسْمُه، ومِن القرآن إلا رَسْمُه.

وكان من نتيجة هذا الفكر العَلْماني أن أعرض معظم المسلمين عن القرآن إعراضاً شبه كلّي، وعَطّلوا أحكامه وحدوده، وهجروا تعاليمه، بل واتخذوه ظهرياً، وأقبلوا على العلوم العصرية إقبالاً كلياً، وإذا ما قرأ أحد المثقفين المسلمين القرآن أو سمعه، فإنه لا يفهم منه شيئاً، وكأنه بلغةٍ غير لغته!!

أضف إلى ذلك الحملة الشرسة التي يتعرّض لها الإسلام وأهلُه في الآونة الأخيرة، والتي طاولت الذات الإلٰهية، والمقدّسات الإسلامية كلها، وظهرت حملات متتالية تُشكّك المسلمين بربّهم، وكتابه، ونبيّه، ودينه، وتهاجمه بشكل متوالٍ وبأنواع مختلفة، ووصل بهم الحدّ إلى أن وصفوا القرآن بأنه كتاب «**إرهابي**» يدعو إلى القتل والنهب والسلب والخراب، ودعوا إلى حرقه!!

وظهرت تآليف كثيرة للمستشرقين تنال من القرآن وتشكّك المسلمين فيه وفي أحكامه، وتصفه بالخلل، ولا تترك شاردة ولا واردة إلا وتتعرّض لها بالنقد، وقد فعلت هذه الكتابات فعلها في أذهان الغَرْبِيِّين، وبعض أبنائنا في الشرق.

ذلك أن أهل الكتاب لا يؤمنون بنُبُوَّة محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء والمُرسلين، ومن هنا فإنّ كل ما جاء به هو باطل وادّعاء، فأنكروا نزول الوَحْيَ عليه، وقالوا إنه كان يهذي، ويتردّد إلى رجل من أهل الكتاب يُعلّمه يُدعى «**الرحمٰن**»، وتكلموا في جمع القرآن ونسبوه إلى الصحابة وأنهم كتبوا ما أرادوا واستبعدوا ما أرادوا، وتكلّموا في النسخ وأنكروه وقالوا إنه مستحيل على الله لتراجعه عن أقواله، وتكلموا في القراءات ومنشئها وأن كل قارىء كان يقرأ ما يشاء بسبب عدم نقط المصاحف

وتشكيلها أول الأمر، وقالوا بتناقض بعض الآيات مع بعضها الآخر، فمنها ما يدعو إلى السلم، ومنها ما يدعو للقتال... وهكذا.

وليس بِمُسْتَبْعَد أن يصدر هذا الكلام عن أعداء الإسلام، ولكن العجب أن يتقبّله بعض المسلمين ويردّده، ويتبنّاه، ويروّج له ويضع في ذلك المؤلّفات!!! ولكن الله تعالى هو الذي يتولّى حفظ كتابه من كيد أعدائه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

فمنذ النصف الثاني للقرن العشرين قامت صَحْوَةٌ إسلامية جبّارة عارِمَة، وسَرَت في أوساط المُثقّفين في الجامعات والمدارس نهضة إسلامية قويّة، ثاب فيها المسلمون إلى رشدهم بعد أن جرّبوا جميع النُظُم والأفكار والمبادىء البديلة التي فرضها عليهم الاستعمار عوضاً عن الإسلام، وعاد المسلمون إلى دينهم، وإلى كتاب ربهم يستلهمون منه الرشد والهداية، وتنبّهوا إلى كيْد أعدائهم الذين حذّرهم الله منهم بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

فوجب عرض علوم القرآن لهؤلاء المسلمين بأسلوب علمي منطقي يزيل الشكوك والأوهام، ويكشف لهم جوانب عظمة القرآن وإعجازه، وسائر علومه التي لا غنى عنها للمسلم الذي يقرأ القرآن لكي يفهمه ويتدبّره، وما هذا الكتاب إلا مُحاولة لتيسير علوم القرآن وعرضها على أهل زماننا، يناقش الشبهات ويردّ عليها ويفنّدها بأسلوب علمي منطقي جليّ واضح، ويُغنيهم عن الرجوع لكتب السابقين.

والله من وراء القصد، هو حسبي ونعم الوكيل.

د. يوسف عبد الرحمٰن المرعشلي

بيروت في 15/ 08/ 2009 م